

مشروع روع القرى

الإصلاح الاجتماعي في مصر

ونصيب طلبة الجامعة والمراس العالمة منه

للأستاذ عبد الله أمين

عضو مجلس إدارة المشروع

قد يخيل إلى التسجل في الحكم على الأمور أن الشعب المصري قد خطا خطوات واسعة في سبيل التقدم والإصلاح الاجتماعي، وذلك حين يرى ما في أمهات المدن المصرية لاسيما القاهرة الأم الكبرى، عمروس الشرق، من بيان شاهقة فخمة، قد بنيت على أحدث مثال، وأثبت بأغزر الأثاث، ومن أزياء حديثة يختال في حللها القشبية شبانها وشوابها، رجالها ونساؤها؛ ومن متاجر ودور للملاهي يمرض فيها من السماع والتناظر ما يمرض في متاجر أوروبا وملاهيها؛ ومن مصارف وبيوت مالية ومدارس ومسبشقيات وأندية وأزمال، وغير ذلك من مظاهر المدنية الغربية الحديثة.

أما التأمل البصير فلا يرى في شيء من هذه المظاهر دليلا على شيء ذي خطر من التقدم والإصلاح الاجتماعي في مصر، لأنها كلها مظاهر مستعارة من الغرب لا ترتكز في هذه البلاد على شيء من عناصر المدنية التي ترتكز عليها في الغرب، وهي العلوم والفنون والصناعات والدق المصرية والعادات والتقاليد والنظم الموروثة، ولذلك تمد في مصر مظاهر كاذبة. وقد تناور على استمارتها ثلاث جماعات، هي: (١) النزلاء الأجانب (٢) الوطنيون المتونون بهم، التاسجون على منوالهم، وما أكثر هؤلاء وهؤلاء في أمهات المدن المصرية، لاسيما مصر والاسكندرية (٣) والحكومات المصرية للتباسة. وليس هؤلاء جميعا هم الشعب المصري.

إنما الشعب المصري هو ملايين الفلاحين الكثرية القيمة في القرى المصرية. وإذا جردت أمهات المدن المصرية من مظاهر المدنية الكاذبة أصبحت كالقرى المصرية شبرا. بشر وذراعا بذر. أي، شيء في القرى المصرية لا يحتاج إلى إصلاح؟ أم مظاهر المدنية أم العباد الذي لا تقوم إلا عليه وهو عناصر المدنية؟ أم أساس هذه العناصر؟

إن كل شيء في القرى المصرية بل في مصر كلها أم المدنية القديمة والحديثة ومطعم أنظار الغرب، ومعقد آمال الشرق، فقير كل الفقر إلى الإصلاح، فالأخلاق والعقائد وهي الأساس الذي تقوم عليه عناصر المدنية، والنوال التي تنسج عليه برودها قد أصيبت بالخلل والفساد، فهي فقيرة إلى الإصلاح. والعلوم والفنون والصناعات والآداب والعادات والتقاليد والدق واللغة والنظم المنزلية والمدرسية والاجتماعية والحكومية وغيرها من عناصر الحضارة لم يبق من محاسنها شيء، فهي أشد فقرا إلى الإصلاح. والأزياء والمسكن والأثاث والتاجر والمصانع والمزارع والطرق والمتنزهات والأندية والمدارس وغيرها من مظاهر المدنية أصبحت ممقوتة بغيضة إلى النفوس لبقاء أكثرها على ما كان عليه منذ آلاف السنين، ولانشاء أقلها على مثال غربي لا يلائم أخلاقنا وعقائدنا، فلا بد من إصلاحها وإصلاح كل شيء إصلاحا نحتذى فيه مثال الأمور الصالحة في الغرب، ثم نصنعها بصيغتنا ونجعلها ملائمة لأخلاقنا وعقائدنا ومزاجنا النفسي والعقلي.

وإذا كانت الأخلاق والعقائد هي الأساس الذي تبنى كل أمة عليه حضارتها، وكانت أخلاقنا وعقائدنا محتاجة إلى الإصلاح كل الاحتياج، فقد وجب أن نبدأ بإصلاحها، فإذا صلحت صلح كل شيء، وإن لم تصلح فلا رجاء في إصلاح. ألا تذكر قوله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». ولا ينبغي لنا أن يعوقنا عن التصدر لإصلاح ما في نفوسنا من مفسد، وما في عقائدنا من ضلال علما أن الأخلاق وهي الصفات النفسية ثابتة في الأمم ثبوت صيغاتها الحسدية، وأنها لذلك لا تتغير إلا بمضي آلاف السنين، وأن العقائد لا تقل عنها ثبوتا، لأننا إذا أمسكنا عن التصدر للإصلاح لهذا العلم فلن نتقدم له أبداً ولن نبلغ ما نريد أبداً. ولا ينبغي لنا أن ننسى بجانب هذا أن للتغيير عوامل فعالة تجعله سهلا سريعا وهي الحروب والنهضات القومية، والثورات الفكرية، وأن النهضة المصرية الحديثة من عوامل التغيير للإصلاح، وإن قيام المعلمين آباء وأبناء بأثارة الأفكار وتوجيهها في القرى إلى الإصلاح مما يكفل لنا بلوغ المراد منه، فيجب أن نتعاون على هذه الأثارة لنبلغ الأمر الذي نبتغيه.

فإذا نحن أيقظنا بصيغتنا ودعوتنا النفوس النائمة، وأصلحنا العقائد والأخلاق وهذبناها بما لا بد منه من العلم والمعرفة فلنعمد-

المكلفين شرعاً وعرفاً، كانوا من المسئولين عن الإصلاح الاجتماعي ولا يرفع عنهم هذا التكليف أننا ممانس الآباء العارفين نعمل هذه التبعة لأن الأمر أكبر من أن يقوم به فريق دون فريق، وليس هو من فروض الكفاية التي اذا قام بها بعض الناس سقط عن الباقيين. وإنما هو في الوقت الحاضر من الفروض الوطنية العينية التي يجب على كل ذي معرفة القيام بنصيب منها، وقد تكون من الفروض الدينية. وأبناؤنا الطلبة مع ذلك أظهر قلوباً وأخلص نية وأشد غيرة وحمية وأقوى أبداناً ونفوساً، فإذا خلا منهم ميدان الإصلاح فقد خلا من كل شيء.

وأنا لا نبني من أبنائنا النجباء طلاب الجامعة والمدارس العليا أن ينصرفوا عن التزود من العلم وتكميل أنفسهم الى معالجة الإصلاح في القرى، لأننا إن طلبنا ذلك منهم كنا خاسرين مسرفين نشترى إصلاح الفلاح بإفساد الطبقة الممتازة التي نعلق عليها كل الآمال، وإنما يزيد من أبنائنا الطلبة النجباء عُدّة الوطن وأعظم كنوز ثروته أن يقسموا أوقاتهم وجهودهم على ثلاثة أمور لا رابع لها وهي: (١) طلب العلم. (٢) الرياضة البدنية والهمو المباح للذين لا بد منها لحفظ الصحة وتجديد القوى والنشاط (٣) خدمة الوطن من أحسن الوجوه وهو نشر العلم والفضيلة بين سواده الأعظم في القرى.

أما البطالة والكسل والحول فقد آن أن يكون بين أبنائنا وبينها ما بين المشرقين من بعد في هذا الزمن الصعب الذي يستهدف فيه للفناء كل انسان وكل جماعة لا يكون شعاره وشعارها الجهد، الاجتهاد، اليقظة، الاستقامة، العمل، التقدم. وانه ليمر علينا أن ينصرف فريق من شباننا في أيام الدراسة وفي أيام العطل الى الهمو غير المباح والى الكسل والحول ناسين أنفسهم ووطنهم. وان أخطر الناس صفة وأعظمهم غيباً في رأي شاب آتاه الله قوة الشباب وسلامة الأعضاء والصحة وفراغ البال ورزقه من يعوله ويكفل أموره رسالته، له سبل الاستفادة والافادة، ثم هو مع ذلك يضيع هذه الهبات الثمينة والواهب العقلية التي من بها الله عليه في الهمو والبطالة فلا هو يتفجع نفسه ولا يتفجع غيره. لا بل قد قد يكون بلاء على نفسه وعلى غيره.

وما أشبه المصريين الآن بركاب سفينة تسير بالمجاديف مع

بعد ذلك الى اصلاح كل شيء اصلاحاً يلائم أخلاقنا وعقائدنا، أو مزاجنا النفسى والعقلى، وإلا وضعنا بجانب كل حجر من أحجار الصرح الذي نبنيه ممولاً لهدمه، لأن الأمة التي تستعير مدنية لا تلائم مزاجها النفسى والعقلى لا تلبث أن تهدم ما بنت بثرة منها، وحسبك دليلاً على ذلك الثورة البلشفية التي قوضت أركان المدينة الغربية في روسيا، فقد كانت روسيا شرقية في كل شيء، فلما ولي أمرها بطرس الأكبر حملها على تقليد الغرب بالقوة فجاءت هذه المدينة الغربية غير ملائمة لأخلاق روسيا وعقائدها لذلك هدمتها أخيراً. وبمثل هذا يتنبأ إمام علم الاجتماع في العصر الحاضر «جوستاف لوبون» للمدينة اليابانية التي نقلت عن الغرب في خمسين سنة. وبمثل هذا يمكنك أن تتنبأ للمدينة التركية الجديدة لأنها من عمل الحكومة لا من عمل الشعب نفسه، وقد نقلها كما هي بلا تهذيب، ولأنها نقلت طفرة لا بالتدريج.

وليس المسئول عن هذا الإصلاح الحكومة وحدها، فان الحكومات لا تقوى على كل شيء. وإن من الناس من يقصر عمل الحكومات على حماية الوطن من اعتداء بعض أبناؤه على بعض، ومن اعتداء الأجانب عليه. أما ما عدا ذلك فهو عنده من عمل الأمة وحدها، ولئن استطاعت الحكومات أن تعمل كل شيء وحدها فلها لا تستطيع أن تقوم البتة بالرائف الكبرى كالزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والتهذيب، فان هذا بلا شك من أعمال الشعوب، ولا بأس بمعونة الحكومة فيه.

والمسئول من الأمة المصرية عن تحرير ملايين الفلاحين المصريين من مفسد الأخلاق ومن البدع والخرافات والأوهام والضلالات وتزويدهم بشئ من مكارم الأخلاق ومن العقائد والمعارف الصحيحة التي لا بد لهم منها في دينهم وديانهم ليصبحوا كأمثالهم في البلاد الراقية وليستطيعوا أن يقوموا بإصلاح عناصر المدينة ومظاهرها إنما هم أهل المعرفة من الباحثين الراشدين المصريين.

لا شك أن العالم مسئول عن أخيه الجاهل، فلو أن رجلين اجتازا طريقاً خطيرة، وكان أحدهما علم بما فيها من خطر ولم يكن الآخر على شيء من العلم بما فيها من خطر، ثم أصابهما فيها صائب من الأذى كان العالم حينئذ هو المسئول عن الجاهل.

وإذا كان أكثر طلبة الجامعة والمدارس العالية من الراشدين

المستقبل وسعادة المستقبل ، وتعالوا الى الميدان الذين فتحة لكم
اخوانكم الاجاد أعضاء اللجنة التنفيذية لمشروع القرى وجمال
فيه جولات صادقات في هذه العطلة الصيفية أبطال من ذوى
العزائم هم اخوانكم المتطوعون لمشروع القرى فكان هؤلاء
وهؤلاء من المجاهدين السابقين الأولين الموقنين . تعالوا واعملوا
لوطنكم منذ الآن تحت العلم الخفاق الذى يحمله علم مصر وفخرها
في القرن العشرين أبو الطب غير منازع ولا تدافع ، الدكتور
على باشا ابراهيم واذكروا قول الشاعر

املاً الدنيا بما تستطيع من عمل يبق اذا العمر ذهب
انما الأعمال تارخ القى تقرأ الأجيال فيه كتب
تعالوا واعملوا للخير ، وتقمم الله لاسعاد أنفسنا ولاسعاد
وطنكم وأبقاكم ذخراً له ما

عبد الله امين

طائفة من سفن أخرى لا أقول تسير بالنهار ، وإنما أقول إنها تسير
بالمجاديف مثلها ، تلك السفن هي دول القرب . وتسعة أعشار من
في السفينة المصرية نيام نوم أهل الكهف ، والعشر المتيقظ هو
الذى يسير السفينة وحده ، على حين أن ركاب كل سفينة أخرى
يتناوبون العمل بينهم ، فلا بد لسواعد المصريين من الكلال ولا بد
لزعماهم في النهاية من الظور ، ولا بد لسفينتهم من الاقطاع عن السفن
الأخرى . وأنت علم بما يصيب هذه السفينة المنقطعة من البلاء
ولو أن هذا العشر أيقظ تسعة الأعشار لاستغل جهودهم
ولوصل بالسفينة وهي مصر الى حيث تصل السفن الأخرى
وأصبحت سحوة من المهالك ونجما هو ونجرا هم معه . وليس
ما يذل من جهد ومال في تهذيب العامة واصلاح شأنهم بكثير
وان عظم . ولو علم الناس ما في تركهم أبناء وطهم فريسة للجهل
ولفسلال وللقهر وللأمراض الجسدية والنفسية من الأخطار المحققة

التي لا يمكن أن يسلم منها مجموع الأمة لافتدوا
سلاتهم بأموالهم وأقسامهم ، فما أشبه أبناء الوطن
الواحد بأبناء أب واحد ، عنى بقرية فريق من
هؤلاء الأبناء فسبوا مهذبين قديرين على كسب
فوتهم من أحسن الوجوه ، ثم أدركته الوفاة قبل
أن تشتد سواعد الفريق الآخر ويريبهم ، ثم أهمل
اخوتهم تربيتهم فنشأوا جهلة مرضى النفوس
محزنة عن كسب أوقاتهم . فلا شك أن الفريق
الأخير يصبح عالة على الأول مسئولاً منه شرعاً
وعرفاً ، فهو إما أن ينهض بأعبائهم ، وإما أن
يستهدف خطرتهم ويكون هو أول فريسة لهم
يلبونه ماله وراحته وربما سلبوا روحه ، وما
أكثر ما يمثل أمانتاً من آن لآخر من هذه الحوادث
فيأيها الشبان التاملون النجباء ، يا رجال
المستقبل القريب ، اعملوا من الآن على ايقاظ تسعة
أعشار المصريين اخوانكم لتلا يكونوا عالة عليكم
غداً ، بل ليكوا عوناً لكم على احياء الحضارة
 واصلاح كل قلسد ، واحذروا أن تشتروا
العاجل بالأجل بأن تؤثروا ساعت تقضونها
في اللغو والكل والحول الآن على راحة

